المحبة
التي لا تدعني أمضي

بقلم
هاملتون سميث

منشورات بيت عنيا

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

مقدمة

إنه شيء مبارك أن نجد المسيح صديقاً يحبنا محبة لا تدعنا نمضي بعيداً، "إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى".

فمثل تلك المحبة- محبة المسيح الأبدية، التي لا تتخلى عنا أبداً- لا تهدأ حتى تجتذب محبة قلوبنا لتتجاوب مع محبته. ويصل هذا التجاوب إلى قمته فيتحقق بكل ملئه في النهاية عندما نصل إلى البيت الأبدي. وعلى الرغم من هذا، ففي الطريق إلى البيت فإن المحبة التي تقدّر المسيح في مكان رفضه هنا وفي زمان رفضه، هي حلوة جداً لقلبه. ولذلك علينا أن نتعلم كيف كان تقدير الرب لمحبة مريم له، التي قادتها إلى أن تمسح قدميه بالناردين الكثير الثمن.

وإنه لأمر مشجع لنفوسنا جداً ونافع لها، وأن نتعلم طرق النعمة التي يضعها الرب لشعبة لكي يوقظ المحبة، ويحفظ المحبة، ويُعمق المحبة، في قلوبنا. إن طرق النعمة يمكننا أن نتتبعها باختصار في قصص العهد الجديد لاثنين من النسوة التقيات.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقظة المحبة

(لوقا٧: ٣٦- ٣٩ و٤٧)

في هذا المشهد العظيم الذي دارت أحداثه في بيت سمعان الفريسي، نرى يقظة المحبة للمُخلّص في قلب خاطئه. فالرب في كمال طرقه يتنازل بنعمته ليحضر وليمة دعاه إليها الفريسي. وبينما كان متكئاً على المائدة، إذا بضيف غير مرغوب فيه يدخل، قال عنه الرب "أحبت كثيراً". ونحن نسأل كيف استيقظت تلك المحبة في نفسها؟

والمسألة هنا ليست صفات المرأة أو أخلاقها، فروح الله يصفها لنا أنها "امرأة في المدينة كانت خاطئة"، وفضلاً عن ذلك فإن سمعتها الردية كانت معروفة جيداً، وكان سمعان يعرف ذلك أنها "خاطئة"، وكل شخص كذلك يعرف هذا الأمر. كما أنها كانت تنوء بحمل ثقيل، ولعلها سمعت كلمات الرب العجيبة "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم". ومما لا شك فيه أنها رأت في المسيح النعمة التي بها يبارك غير المستحقين. ولذلك فقد جاءت مدفوعة بحاجتها ومُجتذبة بنعمته، وبجرأة الإيمان دخلت إلى بيت الفريسي واتخذت مكانها عند قدمي يسوع.

إن روح الله يلفت انتباهنا إلى منظر جميل يتبع هذا المشهد، وهو اللقاء بين الخاطئ الذي كان مربوطاً بالشياطين مع المُخلّص السماوي المُرسل من الله. ودون أدنى شك فإن المشاهدين قد أصابتهم الدهشة، إذ رأوا هذا المشهد أمام أعينهم يعلن عن نفسه. ولعلهم تساءلوا ماذا سيحدث هل سيُظهر الرب أخلاقها ويدين خطاياها ويطردها من محضره المقدس؟آه، لا. إن الفريسي المتكبر ربما يدين الخاطئة لكي يُظهر نفسه أمام المخلص، أما الرب فلا يدين خاطئاً معترفاً.

إن حكمة طرقه كاملة كنعمة قلبه. ففي البداية لم يتكلم أحد بكلمة. فالضيوف كانوا صامتين متعجبين، والرب كان صامتاً في نعمته والمرأة كانت صامتة في حزنها. ولم يقطع سكون الصمت سوى أنين وتنهدات تلك الخاطئة الباكية. فإن لم يقال شيئاً كثيراً هنا، يكفي أن قلب تلك الخاطئة قد انكسر، وقلبها قد رُبح أيضاً. لقد "وقفت عند قدميه من ورائه باكية". وكانت "تُقبّل" قدميه. ودموعها تتحدث عن قلب مكسور، وقبلاتها تتحدث عن قلب قد رُبح.

فما الذي كسر قلبها وجعلها تُربح؟ أليس بسبب ما رأته من نعمة وقداسة في مخلصها، وفي ضياء مجده تحققت، بما لم يكن من قبل، من شرور حياتها وقلبها، وهذا جعل قلبها منكسراً؟ ولكن ما هو أكثر من ذلك، أنها تحققت أنه على الرغم من أنها خاطئة مملوءة بالخطية، فهو مُخلّص مملوء بالنعمة لمن كان غارقاً في خطاياه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومن المفيد لكل منا، إذا كنا في محضره، مُثقلين وبائسين بسبب خطايانا، فنكتشف أنه فيه نجد ذاك الذي يعرف ما هو أسوأ أكثر مما نعرف عن أنفسنا ومع ذلك فهو يحبنا. ولهذا تستيقظ في نفوسنا المحبة للمسيح ونترنم له قائلين:

لقد وجدت صديقاً، وأي صديق

الذي أحبني قبل أن أعرفه

واجتذبني بربط المحبة

فربطني بنفسه إلى الأبد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

دوام المحبة

(لوقا١٠: ٣٨- ٤٢)

رأينا كيف أن المحبة للمسيح قد استيقظت، وأنه لشيء مبارك حقاً، في بداية الحياة المسيحية أن يُربح القلب للمسيح. والآن علينا أن نتعلم كيف أن القلب الذي أُيقظت المحبة فيه، يمكنه أن يحتفظ بالمحبة الأولى في صورتها النشيطة كما كانت في البداية.

ألسنا نعلم جميعنا، أنه مع مرور الوقت، قد تزحف أشياء كثيرة لتقف بين النفس وبين المسيح؟ وليست بالضرورة دائماً الأشياء الكبيرة، التي تقاوم النفس بما تجلب من تعاسة وشقاء، ولكن الأشياء الصغيرة وفي مظهرها ليست مؤذية، إنها "الثعالب الصغيرة المفسدة للكروم"، فتترك الحياة غير مثمرة. إن السماح لهذه الأشياء الصغيرة أن تدخل تترك العواطف باردة وبالتدريج تصبح كتلة ثلجية على القلب. ويقول الرب لنا "تركت محبتك الأولى". وتتباين الأسباب التي نجد البعض أن محبتهم للمسيح تستيقظ وآخرين نجد نموهم في الإدراك بطيئاً، وآخرين إدراكهم ينمو بعمق في فكر الرب وهنا نبادر بالسؤال كيف يمكن للمحبة التي أيقظت أن تدوم؟

ألا يسعفنا منزل "بيت عنيا" ليعطينا الإجابة؟ فإننا نجد هناك أختين قديستين استيقظت محبتهما للمسيح بصورة صحيحة. ففي واحدة نرى صورة مؤمن ينمو في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع، بينما في الأخرى نرى صورة لشخص آخر متعوقاً بالذات ومقيداً بالخدمة.

إن محبة مرثا نراها في سعيها لكي تسدد حاجات الرب الطبيعية كإنسان لكن محبة مريم نراها تجتهد في إشباع حاجات قلبه وأشواقه العميقة بسماع كلماته.

كانت مرثا مشغولة بأشياء كثيرة، ونهاية هذه الأشياء هي الموت. أما مريم فمشغوليتها "شيء واحد" ولا يمكن للموت أن يأخذه منها. وكما قال واحد: "بلا مجاملة، فإن تلك التي أحبت- ذاك الذي أتى متجسداً، فإنها لا تقارن بأي أمور أخرى. أما الأشياء الكثيرة فتنتهي حتماً بالفشل والموت، ولا تقدر هذه- الأشياء أن تقودها إلى الحياة الأبدية، تلك التي تنبع من كلمات يسوع الصادرة عن قلب منكسر ولكن تتدفق منه أنهار الحياة".

وإذا أردنا أن نعرف كيف تستيقظ المحبة، علينا بالروح أن نفتقد بيت سمعان، ولكن هل نعرف كيف تدوم المحبة فلنفتقد معاً بيت عنيا. إن الوقوف عند قدمي مخلصنا في بيت سمعان يجعل المحبة تستيقظ في قلب الخاطئ، أما الجلوس عند قدمي السيد في بيت مرثا يجعل المحبة تدوم. عند قدميه نكون في شركة معه، وفي الشركة معه نسمع كلماته،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكلماته تعلن ما في قلبه. وهناك نتعلم في مدرسة المحبة. ترى كم تعلمنا من النصيب الصالح الذي نالته مريم- وتحولنا عن مشغولية الحياة اليومية وأنشطة الخدمة لننفرد بيسوع. فالاقتراب منه يرينا محبته أكثر؟ إن الرب يحب شركتنا معه، إنه قد يستغني عن خدمتنا، ولكنه لا يعمل بدوننا. ولهذا فقط فإن المحبة الأولى يجب أن تدوم، وإن تركناها فلنعود إليها ثانية. إننا لا نقدر أن نعيش على الماضي. والاختبارات الماضية قد توقظ المحبة، أما الشركة في الحاضر فهي وحدها تجعل المحبة باقية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عمق المحبة

(يوحنا ١١)

والآن نأتي إلى حادثة أخرى في قصة مريم من بيت عنيا، لنتعلم درساً آخر في قصة هذه المحبة. فإن كنا قد رأينا في لوقا ١٠ كيف أن المحبة تدوم وسط ظروف الحياة، ففي يوحنا ١١ نتعلم كيف تتعمق المحبة وسط المصاعب وأحزان الحياة. هناك كانت تتدفق الحياة في مجراها المعتاد، وإذا بالحياة اليومية تصطدم بحادثة مؤسفة. فقد جاء المرض ليغزو هذا البيت الهادئ، ويخيم شبح الموت عليه. وإزاء تلك الصعوبة القاسية ترى ماذا ستفعل الأختان؟ إنهما تحركتا بالنعمة وأخذتا أفضل الوسائل الممكنة، واعتمدتا على محبة المسيح في لوقا ١٠ تعلمت محبة المسيح في سكون الحياة الهادئة، وفي يوحنا ١١ عولت على تلك المحبة وسط عواصف الحياة.

هناك تمتعت بمحبته في معية شركته وهنا استخدمت محبته في أحزانها. وقد أظهرت هاتان الأختان التقيتان دعواهما مكتوبة للرب، فأرسلت له قائلتين: "هوذا الذي تحبه مريض" (ع٢). كم هو واضح ومشرق ذلك الإيمان وتلك الثقة في الرب لهاتين الأختين والمُعبّر عنه في تلك الرسالة القصيرة. لقد أصابا عندما اتجها نحو الشخص بعينه "فأرسلت الأختان إليه". وكانت محبتهما صحيحة، إذ قالتا: "يا سيد هوذا الذي تحبه مريض". ولم يتذرعا في طلبهما بمحبة لعازر الضعيفة للرب، بل بمحبة الرب الكاملة للعازر التي لا تفشل أبداً. كذلك أيضاً فقد طلبا إلى الرب بالطريق الصحيح. كما أنهما لم يقترحا على الرب بماذا يفعل، فلم يسألا الرب أن يشفيه، ولا أن يأتي، ولم يتكلما كلمة لفائدتهما. إنهما عبّرا للرب ببساطة عن حزنهما وألقيا بأنفسهما على نبع متدفق من محبة بلا حدود. فهل تلك المحبة خيَّبت آمالهما؟ كلا! فإن المحبة تُسرّ بأن تتجاوب مع نداء القلوب التي تتحرك بالمحبة.

وعلى كل حال، فإن المحبة الإلهية تتخذ طريقاً كاملاً. فقد يبدو حقاً أن الطريق بحسب تصور الطبيعة هو غريب. فقد أنعشت الأختان قلبه باجتذاب محبته. وهو الآن يُسرّ قلبيهما بأن يعمق في نفسيهما الإحساس بمحبته، ولهذا تعمقت محبتهما له. وهكذا فإنه كلما تعمق الإحساس بمحبته، كلما تعمق تجاوب محبتنا له. نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً.

ولكي يتمم عمل نعمته فإنه يستخدم أحزان الحياة، كما أن محبته تتعمق في نفوسهم، إنه يُعمّق أولاً الحزن. والقديسون قد دُعوا إلى مجد الله بعدما تألموا يسيراً (٢بطرس٥: ١٠)، وهكذا في طريقنا إلى المجد، فإننا غالباً ما نمسك ببعض أشعة مجده اللامعة بعد أن نأخذ وقتاً يسيراً من الآلام. وهكذا كان الحال مع الأختين. كان عليهم أن يتألموا قليلاً، فالرب قد أبطأ ولم تخرج منه كلمة. إن الأيام تعبر، ولعازر يذوي هابطاً، وظل الموت يزحف على

 All rights reserved © 2008-2018

بيتهم. وفي النهاية يأتي الموت ولعازر يموت. إنهم يتألمون يسيراً، وسيرون مجده الآن- و"هذا المرض ليس للموت، بل لأجل مجد الله، ليتمجد ابن الله به". وإن كان أمامنا أن المرض للموت، ولكن الحقيقة أن الموت قد اسُتخدم لإظهار مجد المسيح ونصرته الغالبة للموت. ولكي ما يحقق هذه النهايات العظيمة كم اتخذ من طرق كاملة.

إن المحبة البشرية تفكر فقط في إنقاذ المريض، وذلك بالتحرك الفوري والذهاب إلى بيت عنيا. والحيطة البشرية تفكر في الذات التي تعني ألا يذهب إلى هناك، كما قال التلاميذ: "يا معلم الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك وتذهب أيضاً إلى هناك". لكن الرب ارتفع فوق المحبة البشرية والحيطة البشرية كذلك، وتصرف طبقاً للمحبة الإلهية التي تتحرك بالحكمة الإلهية". فطرق الله كاملة.

وبعد أن أكمل الصبر عمله، تأتي المحبة في وقتها المناسب. وجاء الرب إلى الأختين المكلومتين في بيت عنيا ويعلن محبة قلبه العميقة. إنه ماض في تعميق محبتهما بكلمات محبته، وطرق محبته، ودموع محبته، فأي أعماق للمحبة تكمن خلف تلك الكلمات السامية "بكى يسوع". إنه منظر عجيب أن نرى خاطئاً يبكي في مشهد محبته، ولكن ما هو أكثر عجباً أن نرى المخلص يبكي في مشهد أحزاننا. إن كان يجب أن نبكي نحن بسبب خطايانا فهذا أمر لا يدهشنا كثيراً، أما وجوب بكائه بسبب أحزاننا نحن فهو أمر عظيم الدهشة- وتلك الدهشة تُفصِح لنا أي قرب قد بلغ إلينا ومدى قربه من القديس المتألم.

وقد نسأل لماذا هذه الدموع؟ فاليهود الذين أحاطوا بالقبر أساؤوا فهم هذه الدموع إذ قالوا: "أنظروا كم كان يحبه!". وبالحق كان الرب قد أحب لعازر، ولكن الدموع لم تكن تعبيراً عن محبته للعازر فالأختان كانتا تبكيان لفقد أخيهما، أما الرب فلا حاجة به أن يبكي على شخص سيقوم. إنه لم يبكِ على ميت بل على حي- وليس على فقد لعازر، بل على حزن مريم ومرثا. وباختصار فإن المحبة ستُقيِم لعازر، ولكن المحبة الأولى تبكي مع مرثا ومريم. لقد كسر قلبه ليربط قلوبنا، وسكب دموعه ليجفف دموعنا. وإذ يفعل ذلك فإنه يعلن محبته ويعمّق محبتنا. لهذا استخدم التجارب والأحزان وطرق الحياة الصعبة ليكشف عن كنوز محبته ويجتذب محبتنا له.

وبعد تلك التجارب الصعبة، فإن الأختين تقولان بكل تأكيد "نحن قد علمنا أنه أحبنا، ولكن قبل أن تأتي التجربة لم نكن نعلم بأنه أحبنا بهذا القدر الكثير، مثلما رأيناه يسير معنا ويبكي معنا في أحزاننا".

فعند قدميه، في لوقا ١٠، تعلمت مريم محبته، وفي يوحنا ١١ انجذبت لمحبته التي تعلمتها، وتعمقت في المحبة التي اجتذبتها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أي دروس مقدسة ومبهجة نتعلمها من هذه المشاهد المختلفة. فنتعلم أننا كخطاة عند قدمي يسوع تُيقظنا المحبة، وعند قدمي يسوع كمتعلمين تدوم المحبة، وعند قدمي يسوع كحزانى تتعمق المحبة.

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com